عن حرب أردوغان الموعودة في سوريا

محمد قواص
صحافي وكاتب سياسي لبناني

توصل الأتراك والأميركيون إلى اتفاق حول المنطقة الآمنة التي تطالب بها تركيا في شمال سوريا. ما نعرفه حتى الآن أنه قضى بإنشاء مركز عمليات مشترك لإدارة هذه المنطقة، وأنه أتى بعد تصريح لوزير الدفاع التركي، خلوصي أكار، تحدث فيه عن اقتراب واشنطن من وجهة نظر أنقرة في هذا الصدد. بيد أن في الاتفاق ما يشي أنه اتفاق حد أدنى لن تحصل تركيا بموجبه على ما تريد، وأن الولايات المتحدة تسعى من خلاله لعدم القطع مع تركيا والتعامل معها بصفتها حليفا أطلسيا كامل المواصفات.

والحال أن واشنطن أدركت أن أنقرة تحتاج لاتفاق ما يحفظ ماء تركيا ورئيسها بعد أن أرسلت قبل ذلك رسالة قوية على لسان وزير الدفاع مارك إسبر أن أمر الاجتياح التركي "غير مقبول وسنمنع ذلك". والحال أيضا أن الأميركيين أدركوا أن لا عجالة داهمة تبرر اندفاع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان باتجاه التهديد والتهويل بشنّ عملية عسكرية لإقامة المنطقة الآمنة التي تطالب بها أنقرة في شمال سوريا وخصوصا في شرقها، وأن أوجاعاً داخلية تدفع أردوغان لتوجيه البوصلة نحو الخارج.

والظاهر أن شيئاً آخر يقف وراء همّة الرجل لإطلاق حملة تجييش يرادُ لها النهل من عصبية قومية تركية ضد الأكراد من جهة، وشدّ عصبية "وطنية" في التلويح بأن قرار تركيا مستقل وسينفذ بغض النظر عن رأي الولايات المتحدة وأنشطتها في سوريا من جهة أخرى. وما تعبق به جلبة أردوغان ما يشبه شعبوية تُطلق عادة في الحملات الانتخابية. فهل نحن على أبواب انتخابات قادمة؟

في تركيا من بدأ يتوقع أن يلجأ رجل تركيا القوي إلى انتخابات تشريعية مبكرة. ومنطق هذا الرأي أن أردوغان قرأ جيدا تحولين.

الأول متعلّق بصدمة الانتخابات المحلية الأخيرة التي خسر بها حزب العدالة والتنمية عددا لافتا من المدن الكبرى وفي مقدمها إسطنبول التي خسر فيها الحزب مرتين. انتقلت إدارة المدينة، التي تعني الكثير لأردوغان شخصيا، إلى يد المعارضة.

والثاني أن التصدّعات داخل الحزب الحاكم لم يعد بالإمكان إخفاؤها وأن الانشقاقات التي قامت بها شخصيات تاريخية حزبية كبرى (أهمها عبدالله غول وأحمد داود أوغلو) تنذر بأن الأمور ذاهبة إلى مزيد من التدهور في شعبية أردوغان وفي مكانة حزبه داخل المشهد السياسي التركي العام.

يعرف أردوغان أن حراك قواته داخل أي عملية عسكرية يلوّح بها يحتاج إلى استخدام أجواء تسيطر عليها روسيا، ولا شيء يوحي أن قاعدة حميميم ستفتح هذه الأجواء للفتك بالأكراد

الذهاب إلى انتخابات مبكرة، إذا صدقت التحليلات في هذا الاتجاه، قد يكون هدفه التخفيف من خسائر أكبر قد تكون موجعة إذا ما تركت الأمور وفق المواعيد الانتخابية العادية. لا يريد أردوغان للخصوم والمنشقين عن حزبه أن يتحضروا في الوقت المتبقي للانتخابات المقبلة لإلحاق هزيمة وجودية ضد حزبه. وهو في احتمال مسارعته إلى انتخابات مبكّرة يريد الاستفادة مما يملك والبناء عليه لضبط خسائره ومنع الانقلاب عليه في صناديق الاقتراع.

على هذا يمكن أن نفهم الغبار الذي أثاره أردوغان حول تلك المعركة وتلك المنطقة الآمنة في شمال سوريا "شاء من شاء وأبى من أبى". بيد أن ما أُعلن يكشف أن تركيا لن تدير المنطقة الآمنة وحدها كما كانت تطالب، بل أن الأمر سيكون بالشراكة مع واشنطن، وأن عدم الكشف عن تفاصيل المنطقة الآمنة يفصح أن ما اتفق عليه أقل بكثير من السقوف العليا التي ردحت بها منابر أنقرة في الأيام الماضية.

ارتفعت وتيرة الكلام التركي حول المنطقة الآمنة شمال سوريا عشية وصول وفد عسكري أميركي إلى تركيا لبحث هذه المسألة. كان سهلا أن يُفهم أن الجلبة التركية مملّة في آلياتها تهدف إلى تصليب أوراق أنقرة داخل غرف المفاوضات العسكرية مع وفد واشنطن. والظاهر أن أردوغان يشتغل داخل هامش غموض يتيحه صمت واشنطن ورمادية سلوكها في ما يتعلق بسوريا، كما بذلك المربك المتعلق بأزمتها الراهنة مع إيران.

يشعر الرئيس التركي أنه على الرغم من ارتكاب تركيا لـ"المحرم" بشراء منظومة أس- 400 الصاروخية الروسية، فإن الأمر قد يمر ولن يؤثر على علاقة بلاده مع الولايات المتحدة. لم تفرض واشنطن حتى الآن عقوباتها الموعودة وأرسلت إشارات لا تقلق أردوغان.

أخلت محكمة أميركية في ولاية بنسلفانيا، نائب المدير العام السابق لمصرف "خلق" التركي محمد هاكان أتيلا، بعد توجيه اتهامات له في وقت سابق، بخرق العقوبات على إيران. عُدّ ذلك في أنقرة إشارة ودّ أميركية لأردوغان شخصيا الذي لطالما استنكر اعتقال الرجل وطالب بإخلاء سبيله.

ومن يصغي إلى مطالعة ترامب في استنكار اقتناء أنقرة لمنظومة الصواريخ الروسية، يسمع مرافعة دفاعية عن سلوك تركيا و"اضطرارها" مُجبرة إلى اللجوء إلى الخيار الروسي بعد أن سدت إدارة الرئيس السابق باراك أوباما سُبل اقتنائها لمنظومة الباتريوت الأميركية. وفي ذلك ما يقرأه أردوغان ودّاً شخصيا له، وتمسكاً أميركيا بتركيا حليفا أطلسيا لا استغناء عنه.

حتى الآن بدا أن مداولات ما قد تتيح لواشنطن والحلف الأطلسي معا ابتلاع الحدث التركي المرّ أو على الأقل الحدّ من مضارّه، وبالتالي المضيّ في إيجاد صيغة تعاون أثمرت هذا الاتفاق المعلن حول المنطقة السورية الآمنة.

ذهب أردوغان بعيدا في التدلل على واشنطن لعلّه يَلقى من تسامح واشنطن رعاية لطموح تركيا في النفاذ لأكثر من 30 كلم داخل الأراضي السورية. تودّ تركيا القضاء بذلك على الجيب الكردي الذي تسيطر عليه وحدات حماية الشعب الكردية شرق الفرات، والتي تعتبرها أنقرة ذراعا سورية لحزب العمال الكردستاني المصنّف إرهابيًا. يعوّل الرجل على ذلك وهو يعلم جيدا أن واشنطن لن تمنحه في سوريا ما يتجاوز مصالحها، وما يتجاوز خصوصا الاتفاقات المضمرة مع روسيا.

بيد أنّ الصمت الروسي بالمقابل يُخفي امتعاضا من طموحات أردوغان داخل بلد يفترض الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أنه بات جزءا أصيلا من الفضاء الروسي الاستراتيجي العام.

يهمّ بوتين أن تتعمق الهوة التي تتوسع بين تركيا والعالم الغربي. يهم موسكو أن يتفاقم التوتر بين أنقرة والاتحاد الأوروبي، وأن تشتد ريبة الحلف الأطلسي من توجهات تركيا. ويهم روسيا أن تشوب العلاقات التركية الأميركية تصدعات بنيوية نهائية كبرى.

نفخت موسكو مؤخرا هواء كثيرا في أشرعة عمليات التنقيب عن الطاقة التي تقوم بها تركيا في شرقي المتوسط. أبدت موسكو، على لسان وزير الطاقة الروسي ألكسندر نوفاك استعدادها، للمساهمة في تلك الأعمال بما مثّل دعما سياسيا لتركيا ضد المعترضين في الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي (لاسيما اليونان وقبرص) ومصر وإسرائيل. يبحث بوتين عن توسيع استثمارات بلاده في مجال الطاقة، وينشد تعاونا تركيًا أفضل في منطقة إدلب، لكن ذلك لا يعني أن يدخل أردوغان إلى "ميدان بوتين" في سوريا.

يمتلك أردوغان رشاقة كبرى لإطلاق وعود "انتخابية" كبرى تَعِدُ بحملة عسكرية واسعة في شمال سوريا والعودة عن تلك الوعود، أو الاكتفاء بما هو أقل منها (وفق ما تم التفاهم عليه مع الأميركيين). لم تكن واشنطن لتذهبَ بعيدا في مجاراة أردوغان وهي التي سرّبت في الأيام الأخيرة تقارير خطيرة عن عودة داعش إلى المنطقة، ما يعني تمسّكا بالحليف الكردي وتمسكا بدعمه عسكريًا. بالمقابل لن تسمح موسكو أيضا بأن تصبح تركيا (من خلال منطقة نفوذ كبرى) شريكا لروسيا في تقرير مصير سوريا في المستقبل، خصوصا إذا ما أتى أيّ تغلغل تركي باتفاق ورعاية من الولايات المتحدة.

تمتلك موسكو قرار الحرب والسلم في سوريا. تتوقف هجمات قوات النظام والميليشيات التابعة لإيران بإرادة موسكو، وتستأنف بضوء أخضر روسي. يعرف أردوغان أن حراك قواته العسكرية داخل أي عملية عسكرية شاملة كان يلوّح بها يحتاج إلى استخدام أجواء تسيطر عليها روسيا، ولا شيء يوحي أن قاعدة حميميم الروسية قرب شواطئ اللاذقية ستفتح هذه الأجواء للفتك بالأكراد، حلفاء واشنطن وأصدقاء موسكو.

ومع ذلك فإنّ أردوغان يتمتع هذه الأيام بحنان بوتين الذي يمعن في استمالته نحو موسكو، وبتفهم ترامب الذي لا يريده أن يبتعد كثيراً عن فضاء واشنطن. بيد أنّ الرئيس التركي آثر التفاهم مع واشنطن ذلك أن لهذا الدلال صلاحيات مؤقتة تنهيه فوراً أيّ تفاهمات حتمية حول سوريا بين رجُليْ الكرملين والبيت الأبيض.

هل يدفع المسلمون ثمن إسلامهم؟

فاروق يوسف
كاتب عراقي

"يقوم الإسلام على مبدأ ممارسة العنف ضد الآخر المختلف". ذلك ما لم يقله الغرب أولا، بل قالته وتقوله جماعة الإخوان المسلمين بكل ما تفرّع عنها من تنظيمات إرهابية وحزب الله والميليشيات الإيرانية في العراق وحركة النهضة في تونس وحركة حماس في غزة من خلال ممارساتها على الأرض.

الإسلام بالنسبة لكل المذكورين يعني حجاب المرأة. ما لم تكن المرأة محجبة فإن المجتمع يعدّ كافرا يستحق العقاب. والإسلام هو لحية الرجل. فحين يحلق الرجال لحاهم فإن ذلك التصرّف ينطوي على كفر عظيم. أما ربطة العنق فإنها بالنسبة للإيرانيين إشارة خضوع للغرب الكافر.

أن تكن مسلما فذلك معناه أن تخضع لإملاءات الجماعات الدينية المتشدّدة بكل ما تنطوي عليه تلك الإملاءات من تغييب للعقل ومصادرة للحرية الشخصية وإلغاء لقيم المجتمع المعاصر وسخف في المعايير.

في النهاية أنت لستَ حرا في ما تفكر فيه وما تفعله في حياتك ما دمت مسلما. المسلم من وجهة نظر تلك الجماعات هو عبد. ليس عبدا لله كما يتبادر إلى الذهن، بل هو عبد لآلية تفكير همجية من شأن القبول بها أن يؤدّي إلى إقامة مجتمعات تدفعها عزلتها إلى النظر بعدوانية إلى كل ما يقع خارجها.

خير دليل على ذلك الأزمة التي تعيشها إيران منذ أربعين سنة. البرنامج النووي هو جزء من تلك الأزمة. وجه واحد من وجوهها المتعددة. وما الحديث الإيراني المتكرر عن "أم الحروب" إلا نتيجة طبيعية لتلك الأزمة التي يعتقد الإيرانيون أنها لن تُحلّ إلا عن طريق الحرب.

من وجهة نظرهم فإن المسلم الحقيقي هو الذي يقف معهم في تخلفهم وعدوانيتهم وإرهابهم وخروجهم على القانون الدولي وعدم اكتراثهم بنظم العيش التي كدحت البشرية قرونا من أجل الاعتماد عليها في نبذ الحرب وتكريس السلام.العنف هو الحل. بمعنى أن الهمجية هي الحل. تلك هي حقيقة ما يفكر فيه الإيرانيون وأتباعهم.

"الإسلام هو المسيرات الجنائزية واللطم والنديب والزحف وصولا إلى الأضرحة والقبور". ليس هناك ذكر للمزارع والمكتبات ومراكز البحوث والمسارح والمعامل. هناك مصانع الأسلحة وبرامج الصواريخ، وهي تأكيد على أن الموت يعلو ولا يُعلى عليه.

داعش لم يكن خاتمة. بدليل أن تنظيم القاعدة الذي سبقه لا يزال يعمل وبهمة. حزب الله لم يكتف بلبنان. وحوشه سادرة في غيها تريد التهام الأرض وما ومَن عليها. وهو لم يقفل الباب على معجزاته التي ملأت الأرض من تحت أقدام شهدائه سوادا. "الموت المقدس" أهناك شعار سواه؟

الإصرار على نشر الإسلام في بلاد الإسلام معناه ذبح مزيد من المسلمين الذين لا تجدهم تلك التنظيمات مؤهلين لكي يكونوا مسلمين. يدفع المسلمون ثمن إسلامهم، فيما العالم ينظر إلى المسرحية باعتبارها ملهاة. ذلك لأنه ليس هناك مشكلة حقيقية. المشكلة تكمن في أن المسلمين يحارب بعضهم البعض الآخر من أجل فرض أوهام تصلح مادة لأفلام الرسوم المتحركة.

"أسلمة المجتمعات المسلمة" تلك كذبة ما من أحد يعرف عناصر دهائها مثلما تعرفها إيران والتابعون لها وجماعة الإخوان المسلمين وفروعها. فباسم الإسلام صار حسن نصرالله ومحمد بديع وراشد الغنوشي ونوري المالكي والجولاني وقاسم سليماني وعبدالملك الحوثي زعماء تخضع لهم شعوب، قُدّر لها أن تُستبعد بسبب إسلامها.

العملية التركية المحتملة في سوريا تخدم طموحات أردوغان

غوكهان باجيك
كاتب وأكاديمي وباحث تركي

حين مهّدت الحرب الأهلية في سوريا الطريق لحكم ذاتي للأكراد في شمال سوريا، سارعت تركيا بتغيير أولوياتها من الإطاحة بحكم الرئيس بشار الأسد، إلى تحييد ما رآته تهديدا كرديا على الحدود الجنوبية.

وهذا الأسبوع، كرّر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان تهديده بشن عملية عسكرية عبر الحدود شرقي نهر الفرات في شمال سوريا بغرض انتزاع السيطرة على المنطقة من القوات الكردية السورية التي استولت على المنطقة من قوات الأسد المنسحبة. ونتذكر هنا أن القوات الكردية هي من نجح -بمعاونة من الولايات المتحدة- في إلحاق الهزيمة بتنظيم الدولة الإسلامية.

عبر التاريخ، كان هناك إجماع لدى الشعب التركي على ضرورة التوصل لحل للقضية الكردية، لذا ليس من قبيل المفاجأة أن تجهّز تركيا لشنّ عملية عسكرية كبيرة أخرى في المنطقة الكردية من سوريا. لكن هناك أيضا عوامل أخرى غريبة على السياسة التركية الحالية.

لنقل في البداية أن لتركيا طموحات للبقاء في أجزاء من شمال سوريا، والسيطرة على مدن بل وعلى مناطق كبيرة من الأرض.

وفي الوقت الحالي تحكم تركيا مدنا ومناطق في شمال سوريا كما لو كانت امتدادا للأراضي التركية.

وهناك في شمال سوريا، تدير الحكومة التركية الكثير من المدارس بينما فتحت هيئة البريد التركي التابعة للدولة عددا من الفروع في المنطقة.

ومن الصعب فهم سر اهتمام تركيا بحكم أراض سوريّة على المدى البعيد. ويظن بعضُ المعلقين أن تركيا، التي تعي جيدا احتمال استمرار الأزمة السورية لسنوات مقبلة، ترى في هذه الاستراتيجيات المتشددة خيارا وحيدا لمنع حكم ذاتي للأكراد في سوريا.

هناك سبب آخر لعله عقائدي. فلطالما عُرف عبر التاريخ عن التيار الإسلامي الذي يسيطر في تركيا اليوم مساعيه للتوسع في الأراضي.

وعلى عكس الكماليين العلمانيين الذين سيطروا على حكم تركيا لفترات طويلة من القرن العشرين، فإن الإسلاميين الأتراك يعودون إلى ما يعتبرونه أيام المجد للإمبراطورية العثمانية يقرؤون في التاريخ التركي المعاصر سلسلة من الظلم كانت نتيجتها فقدان أراض.

ولا يقتصر هذا النمط من التفكير على أردوغان وصحبه، بل يشمل مختلف المجموعات الإسلامية في تركيا التي احتفت بفكرة استعادة السيطرة على أراض فقدتها البلاد نتيجة ما تعتبره إمبريالية غربية. كما يمثّل الوضع الاقتصادي المثير للقلق محركا هائلا للسياسة الخارجية التركية.

وتأكلت شعبية حزب أردوغان بفعل فشله في خفض معدلات التضخم ونسب البطالة وأسعار الفائدة بنسب كبيرة، وهو الحزب الذي يحكم البلاد منذ عام 2002.

ومن شأن القيام بعملية عسكرية في سوريا مساعدة أردوغان على توحيد الكثير من الأتراك في موجة مشاعر قومية وإجبار المعارضة على دعم الرئيس.

ولقد نجح أردوغان في تحييد المعارضة مستخدما أمورا تتعلّق بالأمن القومي، بينها صفقة شراء منظومة الدفاع الصاروخي أس- 400 من روسيا، بغرض تشكيل الأجندة السياسية والسيطرة عليها.

واليوم تقف المعارضة قانعة بالتحرّك في قضايا داخلية ثانوية فحسب عوضا عن الخوض في السياسات العليا. وبفعل هذا الانقسام، يسيطر أردوغان على الحكم بينما تواجه المعارضة الفشل.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk